

وهو يؤدي عمله الموكول إليه على الوجه المرضي، وقد مرت به أعوام متواصلة، ويقصد ممسيًا إلى القهوة، ولا يزال دائًّا في هذه الحياة الراتبة بين القهوة والديوان. فاستشعر بلينغ أفندي الحاجة إلى الراحة والاستجمام فقد أنهكه العمل الموصول، فعجل إلى رئيسه يعرض شكاته على استحياء ويستمنحه إجازة يُرفه بها عن نفسه، وقد شاعت على وجهه طلاقة وبشرة، لكنه ما عتم أن خلا إلى نفسه يسائلها، وبين قهوته المألوفة التي تمايل في صخبتها وضجتها سوق المزايدة؟ أن بلينغ أفندي أن يؤمن بنصيحة صديقه فليرحل على عجل. والأخرى أن يقصد الأستاذ رشادًا في "الإسكندرية"، بين "كفر سفيطة"، و"الإسكندرية"، عروس البحر المحظوظ بالمباهج والمسرات وأنهيت المفاضلة والموازنة إلى تلبية هاتف القلب، فأثر الرحيل إلى التغر. كثيراً ما حل بداره دون دعوة أو استئذان وكثيراً ما ردّ على مسامع بلينغ أفندي، فيملاً صدره طمأنينة ورضا، حتى وافى الدار قبيل الظهر، التي تتکاثر طباقها ابتعاء الربع، فتردح فيها الأسر ازدحام الخلايا بأسراب النحل، وصعد بلينغ الدرج، يحمل معه حقيبته المختنقة بألوان الهدايا، وضغط زر الجرس، صديق الأستاذ رشاد. أخبريه أني حضرت. فخيل إليه أن أوصالها يسوق بعضها في بعض كما تسوق كرة من العجين إذا تدحرجت على منحدر، وما أن بلغت به حجرة الزوار؛ فراعه الصمت القابض الضارب أطنابه في البيت، يستعيد ما استقبلته به المرأة من قول، وتنهدات حرج، وبينما هو كذلك؛ إذ علت صيحة نسوية تنم عن استغاثة والتياع فنهض بلينغ من مجلسه يرجف، ثم سكن البيت، وهو مصنوع إلى كل نأمة تصدر. – أي وضع؟ وتلك زوجه تعاني المخاض منذ يومين، ولا يلم بالدار إلا لكي يتسقط الأخبار. سأجن بلا ريب سأجن. لا صبر لي. تکاد تتميز غيظاً. فعن له أن يتريث بعض الوقت لعل الغمة تنزاح وإذا هو يسمع الزوجة صارخة تقول: وألفي بلينغ يده تأخذ بمقبض الحقيقة، فإذا هو حيال المرأة العابسة تنظر إليه بعين زائفة وتقول: وليس هنا إلا السيدات، وتدانت الداية من بلينغ مرفوعة الهمامة، وبعد قليل عاد يحمل حزمة كبيرة، وانسراح به التفكير في شأنه، أليس حسبه أنه أرضي ضميره، وأنه نهض بما تقضي به المروء في ساعة الشدة؟! فامتدت إليه تلك الذراع وتناولت منه الحزمة على عجل، وتوالت بها في إحدى الحجر، وقالت في صوت مستضعف، واخذت تدفع بها ما وسعها أن تدفع. وظن أنه منتفع به في هذه الساعة العصيبة، حتى يستقبل آخر، مستفيض البيان، وهي تقول: الحال شديدة، على بالطبيب. وهو في هذه البقعة غريب، لم تطأها قدمه قبل اليوم؟! وأراد أن يعبر للداية عن ما يجيشه في خاطره، وهي تقول: وأخذ بلينغ الورقة يهرول بها خارج الدار، وكلمة الداية تناوش سمعه، ومرة يخبره الطبيب الثاني بأن بين يديه مرضاه لا يستطيع أن يتخلّى عنهم، ويمضي معه، ومرة يجد الطبيب الثالث قد نام نومة القيلولة، ولكن هدأ إليه سائق السيارة بين عيادات الأطباء ذات اليمين وذات الشمال. وزاول الطبيب عمله في نشطه واهتمام فبدأ في ميدعته البيضاء الأنيقة، فهو ذاuber لا يقر له قرار، ويستمع إلى صاحب القلنسوة الناصعة معجبًا بالخصلة اللامعة من شعره المواج، وهو فيما بين ذلك على الدرج صاعد هابط، يقضي مطالب الدار. قطعة من اللحم لا تزن بضעה أرطال تقيم الدنيا وتقعدها أيامًا وليليًا معدودات. وأهل الدار من يعرف ومن لا يعرف، وشدق لا يهألا صراغ، فتناولها منه حائرًا، ولا يفتأ يدور. وانصرف الطبيب، فصاحب بلينغ حتى باب الدار، يكرم بها وفادته، فوجد الصمت يغشاها،